المبحث الخامس
العالم الإسلامى ومخاطر خلط الأوراق فى حمى مكافحة الإرهاب

رغم أن الإرهاب يصيب مناطق العالم كل يوم، إلا أن الحمى لمقاومته بدأت عندما وصل إلى الولايات المتحدة على النحو الذى لا تخفى دلالاته فى تفجيرات ١١ سبتمبـــر ٢٠٠١ . وقد أرتبطت حمى تدويل الحملة ضد الإرهاب بسلوك وتشوهات وتصريحات تقطع بأن هذه الحمى ستؤدى إلى خلط الأوراق وتدمير العالم الإسلامى وإذلاله . ولذلك فإن هذه السطور تحذير لزعماء العالم الإسلامى والعربى الذين يبدون حرصهم على عدم التخلف عن ركب الحملة الدولية ولكنهم يجب أن يلحقوا بهذه الحملة وهم على بصيرة بأن مشاركتهم لن تضر بقضاياهـــم. فالظاهر من الإتصالات المعلنة بين الأطراف الدولية المختلفة أن المطالب الأمريكية واشتراطات التعاون وشروط الإنضمام إلى النادى الدولى لمناهضة الإرهاب ستؤدى إلى فوضى شاملة ووقيعة محققة بين شعوب العالم الإسلامى وحكوماته، وإلى تصفية القضايا الإسلامية بأيدى الحكومات الإسلامية نفسها. ذلك أن كل العناصر والمنظمات التى اشتركت فى مناهضة إسرائيل على أى نحو يجب أن تسلم إلى القوة الدولية للتحالف ضد الإرهاب، أو أن تقوم الدول المعنية بمحاكمتها تحت إشراف السلطة الجديدة، التى يبدو أن التحالف المنشود سوف ينشئها للإشراف على عملية تسلم العناصر المطلوبة ومحاكمتها، ربما فى هيئات قضائية دولية خاصة أشبه بمحاكم " نورمبرج وطوكيو، ويتضح من هذا المطلب أن إسرائيل قد أبعدت عمدا عن التحالف حتى

لا يستفز إنضمامها العالم الإسلامى، مقابل أن تكون مصالح إسرائيل بل وأيديها وراء كل تصرفات التحالف، وفى ذلك مصلحة مشتركة للولايات المتحدة ولإسرائيل لا تحلم الدولتان بتحقيقهما لو هدأت الحمى التى تغذيها كل يوم الأوساط الصهيونية. فإذا تحقق هذا المخطط فسوف يطلب من لبنان وسوريا أن تسلم أو تحاكم زعماء حزب الله وغيره، وزعماء المنظمات الفلسطينية، وأن عدم التسليم أو المحاكمة سوف يعنى أن انضمامهما إلى التحالف لا معنى له، بل ويعرضهما لقرارات العقاب من هذا التحالف وسوف يكون صعبا فى المرحلة المقبلة بالنسبة لحكومتى البلدين الإعلان عن أن هذه الزعامات اشتركت فى أعمال تتصل بالتحرر من الإستعمار الصهيونى، كما لن يجدى نفعا المطالبة مقابل تعاونهما بأن تسلم إسرائيل زعماءها الذين اجتهدوا بما وسعهم الجهـــد فـــى إبادة العرب جميعا فى لبنان ومصر وفلسطين وغيرها، وتفاخرهم بأن أعمالهم تضعهم فى سجل المجد الصهيونى الذى لا يجرؤ أحد على تجريمه باعتباره أكبر مشروع إجرامى عرفته البشرية طوال تاريخها.

هذه العقدة الأولى فى المنطقة العربية يجب أن يبادر العرب والمسلمون إلى حسمها فيما بينهم، وألا يدخلوا تحالفا غامضا لا تحركهم إليه سوى حالة الحمى التى تشيعها الولايات المتحدة بسبب ماحدث لها، وكأن الدم الأمريكى أزكى من دماء الشعوب الأخرى التى قاست ويلات الإرهاب الحقيقى. وربما كان من أهداف الرئيس "مبـــارك " ومحاولة ربطه بين نجاح الحملة ضد الإرهاب وبين تسوية المشكلة الفلسطينية أن يقدم تصورا لأحد أطراف هذه المعضلة على أساس أن تسوية هذه

المشكلة ستسقط على الجانبين الإسرائيلى والعربى الدعاوى المتقابلة وإن كنت أعتقد شخصيا أن العالم العربى لابد أن يفرق بين التسوية، وهى عملية سياسية، وبين تعقب المجرمين الإسرائيليين الذين أمنوا إلى إفلاتهم من العقاب، فأستباحوا كل شئ دون خوف أو وجل أو حتى بقية من ضمير .

أما العقدة الثانية، التى يجب أن تكون محل إهتمام المؤتمرات العربية والإسلامية، فهى أن التصريحات والتصرفات المعادية للإسلام والمسلمين فى الغرب تكشف عن أحقاد تاريخية متراكمة لا يجدى معها التصريحات المقابلة المدفوعة بدوافع سياسية مؤقتة، وأن تصفية هذه المسائل لا يمكن أن تتم عن طريق مجرد التأكيد على أن الإسلام برئ من الإرهاب، والحض عليه، أو أن المسلمين فى الدول غير الإسلامية لا علاقة لهم بما حدث للولايات المتحدة . بل أن الحل المتصور هو بحث هذه القضية على مستوى الحكومات الإسلامية والعربية بكل وضوح، والاتفاق على خطوط تمنع انفجار الفتنة بين المسلمين والغرب، والتأكيد على أن للمسلمين فى الغرب حقوق المواطنة وفق قوانين بلادهم، وأن فرزهم على أساس الدين عودة إلى العنصرية التى لايجوز إطلاق العنان لها أو التهوين من مخاطرها وآثارها على العلاقات الإسلامية مع الغرب . بل أن هذه القضية بالذات يمكن أن تشعل سلسلة الإرهاب على أساس المظالم التى يتعرض لها المواطن المسلم فى بلده الغربى الذى تميز قوانينه ضده ولا يحميه نظامها الديمقراطى .

أما المعضلة الثالثة، التى يجب أن يتصدى لها المسلمون فهى

القضايا الإسلامية الشائكة التى توشك أوراقها أن تختلط فى الصفقة الدولية ضد الإرهاب.

ونخص من هذه القضايا ثلاثة برزت خلال التفاهمات التى تتم بين الدول الأوروبية والولايات المتحدة والدول الإسلامية . أولى هذه القضايا الثلاث قضية " كشمير". ودون دخول فى تعقيداتها، يكفى أن نشير إلا أنها فى إطار المؤتمر الإسلامى قضية إسلامية، وأن الجهد الإسلامى ينصرف إلى محاولة تسويتها. وتقطع قرارات القمم الإسلامية والمؤتمرات الوزارية منذعام ١٩٩٢ بإلتزام العالم الإسلامى بدعم سكان " كشمير " للعمل على تقرير مصيرهم، والوقوف ضد طغيان الهند فى كشمير، وارتكازها على القوة وحدها فى قمع طلاب الحق فيها. ونعلم أيضا أن القضية فى كل من الهند وباكستان تتمتع بأولوية لا جدال فيها، وأنها تسببت فى كل الحروب والأزمات والتوترات بين البلدين. ونعلم كذلك أن الهند ــ التى تتعاون مع إسرائيل نوويا، ويعملان على جبهة مشتركة ضد باكستان مستهدفين معا قنبلة باكستان النووية، درع الأمان الوحيد ضد تفوق الهند العسكرى ، قد بادرت منذ اللحظة الأولى للتنسيق مع إسرائيل لتحقيق الهدف المشترك الآخر، وهو ضرب ما أسموه بالإرهاب فى كشمير، ومطلوب أيضا من العالم الإسلامى البت فى هذه القضية الخطيرة، وألا تترك باكستان وحدها تحت كل الضغوط التى تتعرض لها من كل صوب. وليس من المصلحة أن تقع حكومتها ومجتمعها على خط النار الوهمى مع أفغانستان، ولابد للعالم الإسلامى من أن يحلل فى شجاعة مع باكستان ما يجب عمله فى هذه الظروف الدقيقة .

أما المعضلة الأخرى والتى لا تخفى إسرائيل مصلحتها فيها وتنسيقها بشأنها مع روسيا فهى قضية الشيشان " . وقد صمدت الشيشان ضد البطش الروسى الذى لم يتوقف والذى يدينه الغرب نفسه ويسكت عنه العالم الإسلامى، رغم التفاوت التام بين قدرات الشيشان وقدرات روسيا. وقد دخلت روسيا التحالف الدولى أساسا من أجل أن يقوم التحالف بتصفية (الإرهاب الشيشانى) . ونحن نعلم قطعا لماذا سكت العالم الإسلامى عن الشيشان رغم أن الدعوة بنصرهم تتردد فى كل صلاة فى المساجد على امتداد المعمورة، وتعتبر الشعوب الإسلامية أن المقاتلين فى الشيشان " مجاهدين " لهم النصر أو الشهادة. ونأمل أن يجد العالم الإسلامى ــ لاعتبارات سياسية ومصلحية بحته ــ القدرة على مواجهة هذه المعضلة على الأقل ما دامت إسرائيل تجاهر بتحالفها مع الروس ضد الشيشان وتسوى بين (الإرهاب الشيشانى) (والإرهاب الفلسطينى) وتجد من يستمع لها فى روسيا وفى غيرها، كما لا تجد من يجرؤ فى العالم الإسلامى على تحديها ودحض افترائها، والتأكيد على طبيعة الإرهاب الإسرائيلى والإرهاب الروسى على السواء .

وأخيرا، فإن غياب العالم الإسلامى عن قضية كوسوفا وحضوره فى قضية البوسنة له ظروف خاصة، ولكن الثابت فى الحالين أن نصرة المسلمين فى البلدين تمت على أيدى مجموعات إسلامية ارتبط نشاط بعضهم بأعمال إرهابية حقيقية فى بعض الدول الإسلامية، تجد منذ ذلك الوقت فى طلبهم للمحاكمة أو العقوبة، وكان التعاون بين هذه الدول والدول الغربية مساحة للو لاتحاد المصلحة. هذه القضية المعقدة تحتاج هى الأخرى إلى تسوية إسلامية عاجلة، واتفاق على الخط الذى يجب

التزامه فيها حتى لا تكون أحد مفجرات الفتنة، وان تؤخذ فى الاعتبار عوامل عديدة عند النظر فى هذه التسوية .

تلك هى القضايا العاجلة والمتفجرة التى أعتقد أن العالم الإسلامى مطالب بسرعة معالجتها والإتفاق على حلول لها حتى لا ينجرف إلى تحالف يفجر الفتنة بين المسلمين والغـــرب، وبين المسلمين وحكامهم، ويشيع الفوضى فى العالم الإسلامى، وفى علاقات المسلمين الخارجية، ويعطل الهدف النبيل الذى رفعه التحالف وهو مكافحة الإرهاب .

إن التحالف الذى يستهدف تصفية الحسابات على حساب القانون والذى تقف خلفه الصهيونية العالمية سوف ينذر بكارثة للعالم أجمع، ولذلك آمل أن يدقق المسلمون فيما هم بصدده وأن يتدبروا أمرهم بأنفسهم بعيدا عن الحمى العالمية التى أشاعتها واشنطون والإرهاب النفسى الذى تمارسه على العالم كله، وخلطها بين التعاطف مع محنتها وبين تحميل العالم كله وزر ما حل بها والزج به فى حملة عمياء تلحق الأذى بالجميع .

وقد كتبت ذلك منذ الموجة الأولى والإعداد للهجوم الأمريكى على أفغانستان فى منتصف أكتوبر ٢٠٠١ وأظنه سيظل صحيحا رغم تعاقب السنين ، لأن قواعد المعادلة لا تزال كما هى حتى كتابة هذه السطور فى أواخر يناير ٢٠٠٣ .